حولى عينيك ...

للشاعر عبد الرحمن الخميسى

حَوِّلى عَيْنَيْكِ ، إنى لا أُطيقْ ما تَصُبَّانِ بنفسى من حريقْ
حَوِّلى عنى سُـــطُوعاً فيهما
قد أرانى الجُرْحَ فى غَوْرى السحيقْ

حَوِّلى عنى سمـــاء فيهما طَيْرُهَا قلبى، ونجواها خُفوقْ!
حَوِّلى عنى لهيبـــاً فيهما لَفْحُهُ يُوغِلُ فى مَسْرَى العروقْ

إنمـــا تَرْسُبُ عيناكِ إلى قاع روحى... كالرَّدَى المُفْقِدِ
إنما تخترقُ النفس بما فيهما من لهب مُتَّقِد ! !
إنمـــا تثقبُ ما أنسجُهُ مِنْ غِشاء الكِبْرِ فى مُنْفَرَدِى
إنما تَجْذِبنى .. مُنْطَرِحاً تحت أقدامك ، مَغْلُولَ اليَدِ!!

حَوِّلى عَيْنَيْكِ يا قاتلتى أنا لا أقوَى على ما فيهما
لَيْتَ لى القوَّةَ ، أستَتْرُ بها فى مُعاناةِ المنـايَا منهما ! !
لَيْتَ لى القُوَّةَ ، لكنْ ما نجا فى احتمالى رَمَقٌ أو سَلِمَا
ما نجا لى رَمَقٌ يُسْعِدُنى أن أُضَحِّيهِ ذَبيحاً لهما

حَوِّلى عَيْنَيْكِ يا قاهرتى واسمعى القصةَ تَنْدَى بالدِّماءْ
قد نبشتُ القبرَ، فاصْحُ الآن يا ماضِيَ الحبِّ ، قتيلَ البُرَحاءْ!
واغْتَفِرْ لى أننى قد هَتَكتْ قبضتى الحُرْمَةَ فى وادى الفَناء
أيُّهَا الماضى...أفِقْ واخْطُرْ كما شئتَ بالأكفانِ فى هذا الفضاء

أيُّهَا الماضى ...أفِقْ واقْذِفْ بما فيكَ من هَوْلٍ إلى مَرْأَى العُيُونْ
كلُّ يوم فيكَ كأسٌ مِلْؤُهَا دَمُ قلبٍ ، وَنُفَاثَاتُ طَعِينْ ! !
وَثَوَانيكَ شُجُونٌ رَزَحَتْ تحتَهَا مُهْجَةُ غِرِّيدٍ أمين
سَقَرٌ أنتَ وقد كابدتُهَا فى نعيم الحبِّ فيّاضَ الشئون

أيُّهَا الماضى أفِقْ واجْهَشْ بما فيكَ من رعْدِ البلايا والعذابْ
كى تُريهَا ما بأيامِك من حُرُقَاتٍ وَدُمُوعٍ وسَرَابْ...
جُثَّـــةٌ أنتَ ... وقد مزَّقها
سَوْطُ حِرْمَانٍ شبابٍ من شبابْ
إسْلَخِ الأيامَ من طلعتها تتساقَطْ حولها فوق التراب !

أنتَ يا ماضِيْ...أطْلِقْ نحوها كلَّ أوقاتِكَ من قَيْدِ الزمن
تتـــعرَّى فى خُطَى تَلْقَفُهَا عثراتٌ وشكوكٌ ومحنْ ...
وانشُرِ الآنَ ليالِيَّ التى تعرِفُ العدْوَ وتبقى الشجنْ
تَرَى ظالمتى السهد الذى طالما سايرَنى فوق الدِّمَنْ ! !

ابعثِ الآنَ دفين الذِّكرِ لتريها كيف ولى عُمُرى
فى هلاك اليأس قد طاردنى خوفُ قلبٍ باللظى مُدَّثِرِ
خوف حرمان تَرَدَّيْتُ به وارتوى من تابعات الفكرِ
وتلوَّى فى ضـــلوعى نَهِماً يغتذِى بى فى شقاء السهر

كم حنين قصَّ وُجدانى وما كفَّ حتى صبغَتْ ليلِى الدماء
وعذابٍ طحن النفس فلم يُبْقِ منها ما يُذَرِّيه الهواء
وبكاءٍ كنت أستَدْنِي به فى خيالى رحمة لى أو عزاء
وأحرُّ الدمع ماتبـــذله عين مظلوم شديد الكبرياء

هذه الغيلان عَبَّتْ من دمى فانتشت تقصف فى هَوْلِ الظلامْ
نهشَتْ لحمى فدَوَّت من فمى صرخات الذعر والناس نيام
وأنا وحدى دكَكْتُ أعظُمى رهبة المُشْفِى على مهوى الحِمام
هذه الغيلان غيلان الأسى أكلَتْ راحة قلبى المستهام

هـذه الغيلان لم تُبْقِ سوى هيكل من جسدى مرتعد
وعظامٍ زلزلتها فى الدُّجى سَطْوَةُ الحُمَّى التى لم تُقْهَدِ
طَلَلٌ أسـعى وزادى لم يعد غيرَ أشواق أضاءت معبدى
طَلَلٌ أسـعى وفى أركانه روح آمالى التى لم تُلْحَدِ

طَلَلٌ مُنْتَفِضٌ يمشى وقد قصمَتْ أضلاعَهُ فأسُ القضاء
خَرِبُ الأنحاء يستوطنه من معدات المنايا ألف داء
شاحب الجلد كأنى مَيِّتٌ طرد اللحدُ رُفاتى فى الخلاء
إن تجده العين لا تُنكره إنما تمطرُه سَيْلَ بكاء ! !

يَقْتَدِ الأحياء فى قبسته ... رحمةً ، لو يستدرّ الرحماء

إنما يعنيه قلبٌ واحدٌ ... هو فى صدرك يا نيلَ الرجاء

انظرى كيف استحالت نضرتى ... صُفرة يُنكرُها حتى الفناء

غائر العينين ، مَعروقهما ... أطفأتْ سحرهما ريح الشقاء

أيُّها الماضى ألاَ تعرفنى ؟ ... شدَّ ما ألقاكَ قد أنكرتنى!

أنتَ منِّى قطعةٌ كفَّتُها ... يدنيني وطَواها زمنى !

أنتَ بُنيانٌ أقمنا فوقَهُ ... حاضراً...يا ليتهُ لم يكُنِ !

حاضراً يمتصُّ أعصابى ولاَ ... ينثنى بالويلِ يستنزفنى

أنتَ سَيلٌ عارمٌ مُنحدرٌ ... من حياتى فى مَصبِّ الأزلِ

هَلْ لأمواهِكَ أنْ ترتدَّ فى ... نَهرِ عُمرى، مُرجِعاتٍ أوَّلى؟

ثُمَّ هَلْ للريح أنْ تقتادنى ... فى اتجاهٍ غيرِ ما قُدِّرَ لى ؟

كىْ أُوَقِّيكَ الذى حُمِّلتَهُ ... من رُكامِ الثُّوبِ المتَّصِلِ !

أين تمضى أيُّها الماضى وَفِي ... أىِّ كهفٍ تختفى بالعُمُرِ ؟

بعدَ موتى هل ستلقانى وَهَلْ ... سَوف ألقاكَ كَمِيلِ الصُّوَرِ؟

أمْ ستنسانى وأنساكَ وما ... عُدتَ نحياً نابضاً فى ذِكرى

شدَّ ما أرهَبُ لُقياكَ إذا ... حانَ حَينى وانتهى بى سَفرى

أنتَ رَجْعٌ للأغاريدِ التى ... كُنتُ أستودِعُها قَلْبَ الزمانْ

عُدْ إلى ساحِرَتى واقطُر بما ... فيكَ من شَجْوٍ لَدَيْها وهَوانْ

واختَفِرْ لى مَسلكاً فى قلبها ... يحتوينى مرَّةً منهُ الحنانْ

أيُّها الماضى وطَهِّرْ كعبةً ... حولها تُعبَدُ فيها وتُصانْ

كم نهارٍ فيكَ أستوقفُهُ ... فى هُوِيِّ الزمنِ المُنصرِمِ

قبل أن يَلتحِفَ الليلَ طَلَى ... مَهدِ ذاكَ الأُفقِ المُضطرِمِ

كُنتُ أستوقفُهُ مُستَرحِماً ... أن يُعيدَ الكَرَّ حولَ الأنجُمِ

عَلَّ فى أوقاتِهِ لى مَوعداً ... تائهاً يُشرَى بِرُوحى ودمى

كم غُروبٍ كُنتُ أستَمهِلُهُ ... فى اجتياحِ الهادرِ المُنصرِفِ

فَزِعاً أجأرُ فى تَيَّارِهِ ... بضمير راعِدٍ مُرتجِفِ :

أيُّها التيارُ لا تَطرَحْ لَقى ... خلفَ أنوارِكَ نَهبَ السُّدُفِ

إننى أخشى الدُّجَى ، يا سُمَّهُ ... لِفُؤادِ الصَّبِّ من مُقترِفِ !

كم مَساءٍ كُنتُ أشتَاقُ بِهِ ... زَفرَتى كالخُنجَرِ المُنفَرِسِ

صُغتُ أنغامى به أنشودةً ... للهوى رَفَّافةً كالقَبَسِ

كم تمثَّلتُ بأحضانِكَ قَدْ ... شِدتُها بالأملِ المُندَرِسِ

شِدتُها للحُبِّ تستَعبِدُنى ... وهْىَ من صُنعِى سَوادَ الغَلَسِ

كم ظلامٍ فيكَ قد مزَّقتُهُ ... عن صباحٍ مُسكفِهرِّ الجَبهةِ

باعثاً طيرَ فؤادى نحوها ... ضارعاً بالشوق يَفرِى مُهجتى

آمِلاً تمنحهُ رحمتها ... فيُغنى فرحاً فى أيكتى !

وإذا الأيقاظُ ركبٌ هائلٌ ... وَصِفٌ يسخرُ من أُمنيَّتى

كم نسيمٍ فيكَ قد حرَّرتهُ ... من نِطاقِ الحَيِّزِ المُختلجِ

شَربَتهُ أُذنى واستَعرَضَتْ ... ما به من همساتِ المُهجِ

عَلَّها تظفرُ فى طَيَّاتِهِ ... بِصَدَى من صوتِها المُنبلِجِ

بصدًى يُشرِقُ فى رُوحِى كما ... تُبرِقُ الأنوارُ فوق الثَّبَجِ

كم ربيعٍ فيكَ قد رَوَّيتُ من ... روضِهِ بالدمعِ زَهرَ الأملِ

وخريفٍ عاطِفىٍّ غالَ ما ... أنبتَ الساقى بماءِ المُقَلِ

كم ربيعٍ فيكَ قد داهمنى ... بِشتاءٍ فى ضميرى مُوغِلِ

بَرْدُهُ يَصطَكُّ منه قَفصى ... ورَدَاه زاحفٌ فى أجَلى

هكذا ولَّتْ حياتى فانظرى ... أىَّ موتٍ جرَّعَتْنيهِ الحياةْ

أنقِذِى قلبى ففى دقَّاتِهِ ... هتفاتٌ لكِ يا كلَّ مُناهْ !

هتفاتٌ شقَّتِ الصَّدرَ لها ... من سِنانِ الصِّدقِ حدٌّ لا أراهْ

فاسمعيها وارحمى مُرسِلَها ... فهْوَ يهواكِ ولو كنتِ رَداهْ!

(القاهرة) عبد الرحمن النيسى

ديوان

أغاريد

الطبعة الثانية

فجر جديد فى الشعر الحديث

ثورة على شعر المناسبات